آفاق المعرفة

مفهوم الزمن
بين الاساطير والمأثورات الشعبية
دراسة اثنولوجية

صفوت كمال

ما الزمن .. ؟ اذا حاولنا الاجابة عن هذا السؤال التقليدى ـ الذى لم يطرحه تصور الانسان العادى بقدر ما طرحه الفكر الفلسفى ـ سنجد أن اجابتنا عن هذا السؤال لابد أن تتجه أولا الى البحث عن مدى ادراك الانسان « للزمن » خلال « حالات » الحياة المتتابعة .

كما اننا اذا حاولنا استخلاص الاجابة من التصور الشائع فى الفكر الانسانى سنجد أن مفهوم الزمن ـ يرتبط بمفهوم « الحياة » على الارض . ومفهوم « الحياة » يرتبط بمفهوم « الوجود » ، ومفهوم الوجود يرتبط بمفهوم « الفعل » ، ومفهوم « الفعل » أو «الحدث» يلتقى مع مفهوم « الارادة » . الذى يلتقى أيضا بمفهوم « الحرية » الذى يتقابل مع مفهوم « الجبر » ، ويرتبط فى نفس الوقت بمفهوم « الاختيار » .

وهكذا سنجد انفسنا في دائرة التساؤلات والشروح والتفاسير تحاول أن تحدد تعريفا منطقيا عن « الزمن » هل هو زمن الانسان او زمن الكون ... ؟ او هل هو زمن الجماعة المرتبطة بمكان أو المتناسلة في « جنس » أو زمن « الجماعة » «الانسان» دون تحييز فى « مكان » أو تنميط فى « عرق » باعتبار أن « الانسان » (طراز) خاص متميز عن غيره من الكائنات ؟

واذا جعلنا هذه الاسئلة تدور فى حلقة واحدة ، بدايتها هى نهايتها ، وَجَدْنا الهابط هو في غاياته جدل صاعد ـ ومغاير إلى حد ما

لمفهوم الجدل الهيجلى ـ ومثله في ذلك مثل وجود الانسان نفسه ... من تراب الى تراب ، ومن ازل بلا بداية الى أبد بلا نهاية ... حيث لم يكن شمس ولا زمهرير. وحيث لم يكن ولن يكون الا ما أراد ويريد رب العالمين .

واذا نظرنا الى الزمن من خلال التراث والمأثور (١) ـ وهما حصيلة المعرفة البشرية ـ اللذين ابدعهما الانسان تسجيلا لوقائع حياته ، ووصفا لمواقفه ازاء تجربة الحياة ، وتعبيرا عن انفعالاته . سنجد أن الزمن ... هو « المقياس » الذى ابتدعه الانسان فى تصور هندسي لتغيرات حياته ... وهو العلاقة الرياضية التى استنبطها من واقع مايحوطه في عالم الارض وعالم السماء .

فالزمن ، هو الايام في تتابعها .... وهو الدنيا فى شموليتها للكون والطبيعة والانسان وكل الكائنات . سواء ما عرفه بحواسه وبخبرته العلمية التطبيقية ، أو ادركه بفكره وعرف علله المنطقية ، أم تصوره بخياله أو باطن وجوده بمشاعره ...

ومن ملاحظات التغيرات المتكررة والمنتظمة فى السماء ذات البروج ، والتغيرات الحادثة فى الطبيعة المتزامنة مع هذه التغيرات اوجد الانسان علاقة بين عالم السماء بأجرامه وسحبه وامطاره ، وعالم الارض بنمائه . وبين حياته هو من ميلاد وموت .

وارتبط مفهوم الزمن فى تصور الانسان منذ مراحل الحياة الانسانية الاولى بعالم المتغيرات الذى يحوطه ويعايشه . فكل ما حوله فى تغير مستمر . عالم السماء بكل ما فيه من كواكب وقمر وشمس تبزغ وتأفل . والرياح والسحب والبرق والرعد والامطار فى دورة حياة متكررة . البحار في حالة مد وجزر متتابعة . والانهار تفيض وتغيض... والبذرة تنمو لتصير نبتة ثم بذرة من جديد ... كل يبدو ليختفى . ثم يبدو من جديد ... وتوقف الانسان ليتأمل ذاته ومتغيراتها من ميلاد وكهولة وشيخوخة وموت ـ ازاء عالم الموضوع المتغير في نظام ...

ومنذ لحظة وجود الانسان على الارض مع لحظة السقوط والخروج من الجنة . كما تصورها الانسان بفكره وسجلتها الكتب السماوية (٢) . ما زال الانسان فى حيرة من

---

(١) راجع العلاقة بين التراث والمأثور في بنية الثقافة بدراستنا ، مناهج بحث الفولكلور العربى بين الاصالة والمعاصرة ، مجلة عالم الفكر ، المجلد السادس العدد الرابع (ابريل ، مايو ، يونيه ١٩٧٦ م) ص ١٧٣ ـ ٢١٠ .

(٢) راجع قصة خروج آدم وحواء من الجنة بعد انوسوس لهما الشيطان ليعصيا امر ربهما ويأكلا من الشجرة التي امرهما الله الا يقرباها ... وعصيا امر ربهما فاخرجهماالله كما اخرج ابليس من الجنة . (اهبطوا بعضكم لبعض عدو ، ولكم فى الارض مستقر ومتاع الى حين . قال فيهاتحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون) انظر القرآن الكريم ، سورة الاعراف ، الايتان (٢٤ ـ ٢٥) ، وكذلك انظر سورةالبقرة (الاية ٣٦) ، وسورة طه (الاية ١٢٣) .

كما نلاحظ ان الصياغة البشرية لهذا الحدث فى سفرالتكوين تقول : « وقال الرب الاله هو ذا آدم قد صار كواحد منا عارفا الخير والشر . والآن لعله يمد يده ويأخذ منشجرة الحياة ايضا ويأكل ويحيا الى الابد فاخرجه الرب الاله من جنة عدن ليعمر الارض التى اخذ منها » بل انالرب ظل يخشى من ان يسطو الانسان على شجرة الخلد خلسة ، ولذلك فقد جعل « لهيب سيف متقلب لحراسةطريق شجرة الحياة » (سفر التكوين ٣ ، ٢٢ : ٢٤) .

انظر ايضا فصل « عصر الحياة الاولى » من كتابجيمس فريزر ، الفلولكلور فى العهد القديم ، ترجمة نبيلة ابراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٢ جـ (١) .وقد حاول فريزر فى هذا الكتاب (١٩١٨) ان يضع فى الاعتبار (النتائج) التى توصل اليها اشهر النقاد فيما يختص بتاليفاسفار العهد القديم المختلفة وتاريخها . « ذلك اننى اعتقد ان كثيرا من المتناقضات فى الكتاب المقدس ، لا يمكن ان تقبلتفسيرا منطقيا وتاريخيا معقولا الا فى ضوء هذه النتائج » .

« فريزر (ص ٢٤٠) .

تقييم وجوده الآنى ، ودهشته ازاء المتغيرات التى تحوطه وتشمل كيانه . وسعى الانسان الى محاولة معرفة سر هذا التغير ، وعلل هذا النظام الذى تخضع له كل الكائنات التى عرفها وأدركها،وتلك التى لم يعرفها وافترض وجودها .

وفى محاولة الانسان المستمرة للكشف عن « المجهول » والقوى التى اهتدى اليها بحدسه الفطرى كعلة لهذا التغير ، ثارت فى نفسه دوافع القلق من واقعه والخوف «من مصيره » بعد الموت . فهو الكائن الوحيد الذى يدرك انه يذهب ولا يعود . فسعى الى البحث عن سر ... « المصير » .

وظلت محاولة الانسان منذ مراحل « التاريخ الانسانى » الاولى هى محاولة مستمرة لتقريب المرئى فيكون ملموسا ، و« العبث » بما تلمسه يداه ليعرف « بنية » ما يدركه ، وتحويل المحسوس ليكون « مفهوما » ، وجعل الفرضى والتصورى ممكنا وكائنا .

البحث عن الخلود :

حاول الانسان بتصوراته التجريدية واجتهاداته التجريبية ان يخرج من ((نسق التغير)) الى ((نسق الثبات)) . ويحيا فى شباب دائم بلا شيخوخة (٢) ، ولا فناء . او أن يكون ذهابه فى رحلة الموت ، هو ذهاب لعودة من جديد ، أو في شكل آخر مغاير لطبيعته المتماثلة مع طبيعة الارض التى تحتويه .

وتطلع الانسان الى الهروب من الشيخوخة نسيج كيانه ـ ومن الموت ـ غاية وجوده ، بأمل أن يعثر على ما يهبه الخلود والشباب الدائم ، ليخرج من حلقة التغير الحادث الى حالة الثبات « المستمر » والهروب من مصير الفناء الى حالة « البقاء» .

فابتدع بفكره التلقائي ونظره الفطرى أساطير تدور أحداثها حول فكرة امكانية البقاء بلا وهن ... فكانت رحلة ((**جلجامش**)) للقاء ((**اتونبشتيم**)) ـ الخالد ـ هي **رحلة البحث عن سر الخلود واكسير الشباب الدائم.**

ومن « اتو ـ نبشتيم » عرف موضع النبات الذى ينبت فى أعماق المياه ، فاذا اكل الناس منه (يعود الشيخ الى صباه كالشباب) وتروى الأسطورة بوقائعها الملحمية ـ كما دونها الأولون بأقلام الكتبة السومريين والبابليين على الواح الطين قبل (٤٠٠٠ عام) (٤) . كيف غاص « جلجامش » فى اعماق اليم تساعده احجار ثقيلة ربطها فى قدمية على الغوص دون ابطاء . الى أن وجد النبات فقطع الأحجار الثقيلة من قدمية وخرج من البحر الى الشاطىء ومعه النبات الذى اذا

---

(٣) ((الشيخوخة)) طور من أطوار الحياة وظاهرة من ظواهرها ، اذا بدأت فهى مستمرة وبطريقة غير ملحوظة مثل الزمن . وهى اذا بدأت لا تعود الى شباب » . انظر د .فاطمه الفرياوى ، الشيخوخة ، هل هى مرض ..؟ ، مجلة عالم الفكر ، المجلد السادس ، العدد الثالث ، وزارة الاعلام/ الكويت ، (اكتوبر ، نوفمبر ، ديسمبر ١٩٧٥) صفحة (١٠٩ ـ ١٣٢) وانظر ايضا دراسة الدكتور عبد الحسن صالح » شيخوخة الكون ، صفحة ٤٧ ـ ١٠٨ من نفس العدد .

(٤) طه باقر ، ملحمة « كلكامش » منشورات وزارة الاعلام/ الجمهورية العراقية ، ١٩٧٥ م .

اكل الناس منه يعود الشيخ الى صباه كالشباب . (٥) .

وجلجامش فى صراعه الملحمي ضد الشيخوخة ـ الزمن القادم بالموت ـ ومحاولته الدرامية للهروب من الموت الذى قضى على صديقه « انجيدو » لايهدف من ذلك الى منفعته الذاتية ، بل هو يغالب الحياة من أجل ابناء مدينته « اوروك » . فحينما حصل على النبات الذى يهب الشباب الدائم لم ياكله احتفظ به أولا ليقدمه الى سكان « اوروك » وليأكل هو منه بعد ذلك فى آخر ايامه حتى يعود شبابه ... وفى رحلة عودته كما في رحلات مغامراته قبل ذلك مع صديقه انجيدو وبخاصة فى رحلة مغامراتهما الى غابة الأرز نلحظ ارتباط الزمن بالمسافات ، فقدرة كل منهما تفوق قدرة غيرهما من الناس .

فتروى بعض نصوص الملحمة انه : ـ

(بعد سفر عشرين ساعة مضاعفة تبلغا بقليل من الزاد ، وبعد ثلاثين ساعة مضاعفة توقفا ليمضيا الليل) .

ثم انطلقا سائرين (خمسين) ساعة مضاعفة اثناء النهار .

وقطعا مدى سفر شهر ونصف الشهر فى ثلاثة أيام .

وحفرا بئرا وتقربا الى الاله « شمش » (٦) .

نفس المعدل من الزمن والمسافة (عشرون وثلاثون ساعة مضاعفة) نلحظه في رحلة العودة مع « اور = شنابي » الملاح الذى سبق ان اوصله الى ـ اتو نبشتم ابخالد ـ وبعد أن حصل على النبات العجيب ... : ـ

(ثم قال : يا أور ـ شنابي ـ ، ان هذا النبات عجيب

يستطيع المرء أن يستعيد به نشاط الحياة

لأحملنه معى الى « اوروك » ذات الاسوار

وأشترك معى (الناس) ليأكلوا منه

وسيكون اسمه : « يعود الشيخ الى صباه كالشباب » وأناساكله (فى آخر أيامى) حتى يعود (شبابي) .

---

(٥) هذا النوع من طرق الغوص بمعاونة حجر ثقيل كان شائعا الى عهد قريب بين الغواصين فى منطقة الخليج حينما كان ابناء الخليج يغوصون لحصاد المحار الكامن فيه اللؤلؤ في اعماق اليم .

وهذه الطريقة من طرق الغوص تسمى « حجاري » نسبة للحجارة التى يعتمد عليها الغواص فى نزوله الى قاع البحر .

ـ انظر ، صفوت كمال ، مدخل لدراسة الفولكلور الكويتى ، وزارة الاعلام / الكويت ـ الطبعة الثانية ١٩٧٣ . ص ١٦٥ وما بعدها .

ـ راجع ايضا :

Bibby, Geoffrey, Looking for Dilmun, New York 1969, Alfred A. Knopf, pp. 156-158.

(٦) طه باقر ، ملحمة كلكامش ص ٨٥ .

والمسافة التى تقطع في الساعة البابلية المضاعفة تبلغ نحو فرسخين وبالضبط ١٠٫٨ كم وتكون مسافة ثلاث مرات خمسين ساعة مضاعفة نحو ١٦٠٠ كم ، وهى المسافة التقريبية بين بلاد بابل ولبنان (الارز) .

ثم سارا وبعد أن قطعا عشرين ساعة مضاعفة تبلغا بلقمة من الزاد ، وبعد ثلاثين ساعة مضاعفة توقفا ليبيتا الليل

وابصر جلجا مش بئرا باردة الماء (٧)

فَوَرَدَ (نزل) فيها ليغتسل فى مائها

فشمت الحية شذى (نفس) النبات

فتسللت واختطفت النبات

ثم نزعت عنها غلاف جلدها

وعندئذ جلس جلجامش وأخذ يبكي

حتى جرت دموعه على وجنتيه

وكلم « أور ـ شنابي » الملاح قائلا :

« من أجل مَن يا » أور ـ شنابى
« كلت يداى .. ؟ (٨)

وبتاثير ذلك النبات السحرى استطاعت الحية ان تجدد شبابها بنزع جلدها كل عام .

وتتضمن الحكايات الخرافية لدى بعض الشعوب تصويرا للحية بانها حارسة الكنز او التي تحمل فى فمها الجوهرة النادرة . كما ترمز أيضا بقدرتها على انهاء حياة الانسان كرمز للشر الخفي . . . واتخاذ الموقف الدرامي (انتحار كليوباترا) كناية عن ذلك .

كما كان يقال ان سحر جمال وحيوية كليوباترا كان يرجع الى انها كانت تشرب النبيذ المذاب فيه حبات اللؤلؤ ، وبذلك حافظت كليوباترا على حيوية شبابها .

كما افترض بعض الباحثين أن (زهرة الخلود ـ The Flower of Immortality) التي غاص جلجامش لاقتطافها من اعماق اليم هى محارة اللؤلؤ .

كما اتخذت الأفاعي رمزا للحماية من المرض والشيخوخة والموت في البحرين ـ قديما ـ كانت توضع افعى فى اناء من فخار وتدفن تحت مدخل البيت ، واحيانا يوضع مع الحية لؤلؤ لتحمي سكان البيت من المرض والموت (٩) .

وتروى حكايات لبعض الشعوب البدائية ، وبخاصة فى افريقيا ،ان هبة الخلود السعيدة التي تتحقق من خلال عملية بسيطة تتمثل فى تغيير الجلد بانتظام في فترات ثابتة كان يملكها الانسان ولكنها تحولت عنه الى الكائنات الدنيئة نتيجة حدث غير سعيد ، فاكتسبتها نتيجة ذلك الحيات وسرطان النهر والسحالي والخنافس . وان الجنس البشرى كان يستحوذ بحق فى وقت ما على تلك الهبة ولكنه ضيعها بسبب حماقة امراة عجوز .

وتضيف رواية اخرى عن اهالي جزيرة « نياس » أن الحيات اكلت السرطان النهرى الذى يغير جلده ولا يموت ، لهذا فان الحيات لاتموت كذلك ، بل تغير جلدها (١٠) .

والخلود والشباب الدائم كانا دائما مطمع الانسان . ونظر الانسان للشيخوخة والموت على انها ماساة الانسان ، وهذا ماظهر بشكل واضح فى الاساطير الافريقية ، باعتبار ان وجود الانسان منذ البداية هو وجود مأساوى . وسوف نعرض لذلك فيما بعد .

---

(٧) هنا لم يحفر بئرا للتقرب الى الاله « شمش » كما فى النص السابق بل وجد بئرا ونزل فيها ليغتسل « وفي هذا » الموقف النزول فى الماء ينشأ الموقف الدرامى بملامحه الانسانية المأساوية .

(٨) طه باقر ، ملحمة « جلجامش » ، ص ١٤٩ ـ ١٥٠ .

(٩) Bibby; op. cit., pp. 164-165

(١٠) راجع حكايات تغيير الجلد ، فريزر ، الفولكلور فى العهد القديم ، ص ٦٢ ـ ٧٢ .

رحلة الموت :

هذا الموقف نجده بشكل مغاير فى مصر القديمة ، **فالانسان المصرى لا يهرب من الموت او يرفضه ، ولا يوجد صراع بين الانسان والقدر** الذى فرضته عليه الآلهة . والانسان في مصر القديمة محب لآلهته ومحب للحياة . لذا كانت فنونه المعمارية وتصاويره الحائطية فى المعابد والمقابر تعبيرا عن هذا التوافق بين الانسان وآلهته . فآلهته دائما حانية عليه ، ترسل له الشمس والدفء والنماء ، وماء النيل يأتي بانتظام لا تبخل به ايزيس او يحجبه اوزوريس أو يحرضان حابي (اله النيل) على منعه عن شعب مصر . وحورس يرعى الارض والشعب ، بل هو الذى يحمي ابناء النيل من غضب «ست» الذى يأتي بالتيفون ... ورع وآمون وآتون ثلاثي آخر رمزه قرص الشمس واشعتها لم يخذلوه فى يوم من الايام .

ورحلة الموت عند المصريين هي « رحلة تمجيد في الافق » ولا يجيء « لفظ الموت فى نصوص الأهرام الا فى صيغة سلبية ، أو عندما يطبق على عدو . وانا نسمع مرارا وكرارا ان « الموتى يعيشون » انها حياة لحياة . وما الموت الا استمرار لحالة التغير المتكرر فى كل ما يحوط الانسان .

وفى نصوص الأهرام نجد عبارة « انك **لم ترحل ميتا انك رحلت حيا** » . وكذلك نطالع « ايها الشخص الفضي بين النجوم التى لا تفنى ، انك لا تفنى الى الابد » (١١) .

وحاول الانسان المصرى أن يتغلب على فناء الجسد بتحنيطه وحفظه ، ليحتفظ الجسد ببنيته المكونة من الـ « كا »والـ « با » والـ « خو » الى يوم الحساب .. (١٢) .

والموت هو حالة تغير في الحياة وليس انتهاء حياة . فهو رحلة الوصول الى البر أو « الرسو » وهو ايضا الحياة الأبدية بلا تغيرات . حياة بلا جور كل ما فيها عدل وخير « انك تصعد ، انك ترى حاتحور ، ان السوء قد طرد ، ان الجور قد اكتسح ، قام بذلك الذين يزنون بالموازين يوم الحساب » (١٣) .

فلا خوف بل طمانينة ، وبذلك ينتقل الانسان من حالة الى حالة اخرى فى حياة متواصلة (انك لا ترحل ميتا ، انك ترحل حيا) كما تقول نصوص الأهرام . **فالزمن زمن متصل** ، المستقبل هو امتداد للحاضر بلا تقطعات ... ورحلة الانسان من الشرق الى الغرب حيث المقابر ... **هي نفسها** رحلة الشمس من الشرق الى الغرب ، فى مركب الشمس التي تعبر النيل حيث الرسو لمواصلة حياة متجددة دائما .

ومن الشمس تعلم الانسان المصرى حساب الأيام والسنين ... وقسم اليوم الى ١٢ ساعة نهار ، ١٢ ساعة ليل .... وقاس حساب الساعات بالمزولة وبظل المسلة على الأرض وباستخدام آنية فخار (clepsydra) مدرجة جوانبها بخطوط ، ويتسرب منها الماء فى هدوء من خلال فتحة صغيرة . ومعدل تسرب الماء هو مقياس الساعات . وبخاصة في الليل .

ومن حساب الأيام جعل العام ٣٦٠ يوما ، والخمسة ايام أو السبت فى السنوات

---

(١١) برستيد ، تطور الفكر الديني في مصر القديمة ،ترجمة : زكي سويدان ، دار الكرنك ، القاهرة ، ١٩٦١ ، ص ١٣٩ ـ ١٤٠ .

(١٢) انظر ، احمد كمال ، (علوم وعوائد وصنائع واحوال قدماء المصريين) . طبع بمطبعة مدرسة الفنون والصنائع الخديوية ، ببولاق فى سنة ١٣٠٩ هـ .

(١٣) انظر ، برستيد ، نفس المرجع ، ص ٣٤٧ .

الكبيسة أيام أعياد ، وجعل بداية العام هو ظهور كوكب الشعرى (sirius) في أبهى لمعانه وهو رمز الالهة ايزيس أيضا .

وفصل الفيضان (Akhit) هو الفصل الاول من السنة ، ثم موسم الحرث والبذر وموسم الذهاب (Perit) حينما تجف المياه وتذهب ويبدأ الحصاد وهو موسم (shemon) فالسنة ثلاثة أقسام كل قسم ٤ شهور تبدأ مع الفيضان في اغسطس .. ووحدة القياس هي عشرة أيام واليوم العاشر عطلة من العمل (١٤) . ومن هذا الحساب الدقيق اشتقت نظم التقويم في ما بعد على مختلف العصور الى تقويمنا المعاصر (١٥) . أما التقويم العربي فكان يبدأ من غروب الشمس الى غروبها كساعات اليوم ...

والشهر يحسب تبعا لدورة القمر من هلال الى محاق ... (١٦) .

---

(١٤) انظر الفصل الخاص بالزمن عند قدماء المصريين ص ، ٣١ ـ ٤٤ من كتاب .

Montet, Pierre, Everyday Life in Egypt in the days of Ramesses the Great, London 1958, Edward Arnold Pub.

Ions, Veronica, Egyptian Mythology, 1958, Paul Hamlyn

وكذلك راجع التقويم القبطي المصري القديم وارتباطه بفترات العمل في الزراعة من حرث وبذر وري وحصاد ، وتغييرات المناخ من حر وبرد ورياح وامطار ، وكذلك العبارات السائدة المرتبطة بمسميات الشهور مثل : (هاتور ابو الدهب المنثور ((كناية عن انه في شهر هاتور تتم زراعة القمح ..))وكياك صباحك مساك حيث يوافق هذا الشهر اواخر شهر ديسمبر ويحدث القصر طول للنهار . (ابراهيم شعلان ،الشعب المصري من خلال امثاله العامية ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٢ ، ص : ٢٠٦ ـ ٢١٣ .

(١٥) وقد قلد الفرنسيون ايام التقويم المصري في ايام التقويم الفرنسي للثورة (١٧٩٣ ـ ١٨٠٥) ويبدا حسابه من ٢٢ ديسمبر ١٧٩٢ وقسمت فيه السنة الى اثنى عشر شهرا ، والشهر ثلاثين يوما . وعرفت الايام الخمسة الباقية بايام الشعب وجعلت اعيادا . وفي السنوات الكبيسة عرف اليوم الزائد وهو آخر ايام السنة بيوم الثورة . وقسمت الشهور الى ثلاث عشريات ، وجعل اليوم العاشر في كل منها يوم عطلة . (الموسوعة العربية الميسرة ، دار القلم القاهرة ، ١٩٦٥ م ص ٥٣٨) .

(١٦) وقد وضع عمر بن الخطاب سنة ١٧ هـ التقويم الهجري وقد بدا في ١٦ يوليو ٦٢٢ م . ويبدا من شهر المحرم وينتهي بذي الحجة .

اما التقويم الميلادي فانه يرجع الى التقويم الروماني الذي وضعه (بومبليوس) (Numa Pompilius) ثاني ملوك روما وجعل شهر فبراير ٢٩ يوما يضاف اليه يوم آخر كل اربع سنوات ليكتمل ثلاثين يوما . ولكن بعد ٦٠٠ عام في عام (٤٦م) حينما تقلد اوكتافيوس حكم روما ومنح لقب اغسطس امبراطور روما في النصف الثاني من القرن الاول قبل الميلاد ، فقد اختار الشهر الذي يلي شهر يوليو المنسوب الى عمه يوليوس قيصر (Julius Ceaser) وجعل شهره كشهر يوليو واحدا وثلاثين يوما . واخذ اليوم الزائد الواحد والثلاثين من شهر فبراير وبذلك اصبح فبراير ٢٨ يوما ، وكل اربع سنوات ٢٩ يوما ...

واسماء الشهور والايام بل اسماء التقاويم (مثل التقويم الجريجوري المتبع الان في السنة الميلادية) ، ارتبطت بعناصر من التراث الاسطوري واسماء الآلهة التي يرمز لها بالظاهرات الكونية وبخاصة اجرام السماء المتحركة كالشمس والقمر والمريخ وعطارد والمشتري والزهرة وزحل ومن اسمائها الافريقية والرومانية والجرمانية اشتقت اسماء ايام الاسبوع. كما ارتبطت بمعتقدات واحتفالات .

راجع : ـ

(١) Chaundler, Christine, A Year Book of the Stars, London 1956 A.R. Nowbray & Co.

(٢) ,, ,, A Year Book of Legends, London 1962, A.R. Mowbray Co.

(٣) ,, ,, A Year Book of Folk-lore, London 1959, A.R. Mowbray & Co.

(٤) كريمر ، اساطير سومر واكاد ، في اساطير العالم القديم .

(٥) الموسوعة العربية الميسرة ، ص ٥٣٨ .

زمن الصراع مع القدر ...

والزمن فى الأساطير اليونانية ـ زمنان ، زمن حياة الانسان على الارض ، وهو زمن الصراع مع القدر ، وهو حاضر مليء بالمعاناة ... وزمن آخر هو زمن الموتى .. حيث يكون المستقبل في زمن الأحياء هو حاضر فى (عالم الموتى) ... وحياة الانسان مقدرة عليه تقديرا ... والانسان نفسه هو موضوع الصراع بين الآلهة ما بين معاون له وبين معاد له ... ووجود الانسان ، هو زمنه الحاضر ليحقق ما يريد وفق ارادة الآلهة التى انتخبته .. وهو أيضا زمنه الذى يحاول خلاله أن يخرج فيه من ارادة الآلهة التى حددت ما يعانيه فى حياته ...

وعالم الأموات ... حيث أرواح الاسلاف تشرف على هذا الصراع وتعلمه دون أن تتدخل فيه .. والعارفون والكهان يمكنهم التنبوء بما سيحدث للانسان فى حياته ... فحياته هى تطبيق لما هو مفروض من قبل في عالم الآلهة الذى تدركه أحيانا أرواح الموتى ...

والأساطير اليونانية كما تسجلها الاعمال الأدبية القديمة ، تحمل فى مضمونها وموضوعاتها فكرة الصراع ، الصراع فى عالم الآلهة ، وصراع الانسان مع الانسان فى عالم الانسان ، وصراع عالم الانسان مع عالم الآلهة .. وهو صراع درامي يعبر عن أن حياة الانسان محددة بأفعاله المقدرة من قبل . وهو قدر موجود فى زمن سابق على زمن الانسان المرتبط بوجوده الواقعي بين الميلاد والموت .

ومن خلال العرافين عرف الانسان قدره ، فلذلك يحاول أن يخرج عنه ويهرب منه في غربة ملحمية ويومية . « وكان الأساس الأسطورى للفن الاغريقى بصفة عامة ، هو انساني وتاريخي فى جوهره ، الى درجة إنه كان يبرز ما هو فعلا موجود فى الحياة » .. (١٧) .

وتتضمن الالياذة والأوديسه ، اللتين نظمهما هوميروس حوالى القرن التاسع قبل الميلاد ، تصويرا رائعا لما افترضه الانسان الاغريقى قديما من تصورات لعالم الاجرام السماوية والظاهرات الطبيعية المختلفة . ووصفا للعادات والتقاليد والمعتقدات والطقوس التى كانت تمارس في تلك العصور التى تناولتها الملاحم الأدبية ، بما فيها من صيغ أدبية شعبية ومأثورات ثقافية ، ما زالت مصدرا مباشرا من مصادر التعرف على مقومات الثقافة الانسانية ، فى حضارة من أقدم الحضارات التى اعطت المعرفة البشرية مجالات للبحث ورؤى فكرية لعالم الانسان والطبيعة من تصورات ميتافيزيقية .

وتتميز الأساطير الاغريقيه بأنها وصلتنا فى صيغ أدبية ، واثبتت بالتدوين وتلقت القدر من التقنين الذى قدر لها فى ذلك الأوان مجموعة من الاساطير الاغريقية هى التى تضمنتها الاشعار الهومرية التى كان موضوعها الرئيسي أعمال الانسان الفانى ومتاعبه (١٨) .

واذا استطردنا فى موضوع الموت « باعتباره هو نقطة التماس بين زمن الانسان النسبى في التقويم الارضي ... وبين زمن الكون فى الأبد نجد أيضا مقولة البقاء بعد الموت فى ازدواجية بنية الانسان بين الجسد والروح .. فالموت هو موت للجسد « لا تحنيط الجسد » والحياة هى حياة أرواح الموتى . وفي منازل الأموات يستطيع المرء أن يتحدث مع

---

(١٧) مايكل هـ . جيمسون ، اساطير اليونان القديمة ، ص ١٩٧ ـ ٢٤٤ من كتاب اساطير العالم القديم ؛

(١٨) انظر : جيمسون ، المرجع السابق ، ص ٢٠٠ ، و ـ توماس بلفينش (Bulfinch) عصر الاساطير ترجمة ، رشدى السيسي ، مراجعة محمد صقر خفاجة ، النهضة العربية ، القاهرة / ١٩٦٦ .

أرواح الموتى ووجودهم يكون كالحلم ... ويمكن للانسان ان يتحدث معها ، ولكن لا يلمسها « فيقول اوديسيوس » وتاقت نفسى الى أن تمسك بروح أمى الميتة واحتضنها ، فوثبت نحوها ثلاث مرات ، وأمرني قلبى بأن امسكها ثلاث مرات ، وافلتت من ذراعي أشبه بالشبح أو الحلم . فزاد الألم حدة فى قلبى .

ولما قلت لها ، كيف هذا يا أماه ... ؟ ما انت اذن سوى شبح أرسلته ملكة الموت الى .. ! اجابتني أمي .. : (هذا شأن الأموات يا ولدى ، فلا تبقى لهم لحومهم وعظامهم التى تلتهما قوة النار . وأما أرواحهم فهى كالأحلام تطير هنا وهناك) (١٩) .

وفى انيادة فرجيل (٧٠ ـ ١٩ ق.م) التى تعتبر المدخل والممر بين عصر الوثنية والعصور المسيحية يدور حوار مماثل فى مساكن الموتى بين اينياس وروح أبيه انخيس ، ويطلع انخيس ولده اينياس على أمور قادمة ، (واضاء روحه برغبة الى المجد ثم أراه الحروب التي سيشتبك بها ، وكيف يجب أن يكابدها او أن يتفادى الشرور القادمة اذا أمكنه ذلك) (٢٠) . وحاول اينياس أن يحتضن والده ويعانقه ، ولكن ذراعيه لم تحتضنا سوى خيال غير ذي جسد (٢١) .

وفى **رسالة الغفران** للمعرى ، **والجحيم** لدانتى نجد مواقف مماثلة ... كما يتجدد هذا الموقف نفسه في أعمال أدبية عديدة . فنجد على سبيل المثال ، حضور الروح الى العالم الارضي فى « هاملت » ، حينما تطالبه روح أبيه بأن يثأر لمقتله .

وقدرة الأرواح على معرفة المستقبل يجعل المستقبل (حدثا حاضرا) فى عالم الأموات يرونه بقدرة خاصه .

فالمستقبل بالنسبة للأموات (موجود بالفعل) في زمان غير زمان **الأحياء** ووجوده هو تزامن للحاضر . واستباق أرواح الموتى للأحداث ، هو بمثابة النبوءة للعرافين والكهنة ، فالزمن فى النبوءة « خارج » ادراك الانسان ، وهو اتصال الحاضر بالمستقبل واستباق آني للاحداث بالنسبة للمتنبىء الذى يملك القدرة على الرؤية المستقبلية .. لما هو كائن وان لم يتحقق بعد فى الزمن الانساني ...

والزمن كحدث يرتبط بالمكان ، والزمان والمكان يتحدان فى (الفعل) فينشأ الزمان فى المكان ، ويعلو الحدث بالمكان الى الزمان .

وعلاقة المكان بالزمان ، والزمان بالمكان ، هو موضوع آخر عالجه الفكر الفلسفي منذ القدم (٢٢) .

والحديث عن الفكر الملحمى والزمن في الأدب الاغريقى ، لا بد وان يتبعه بشكل ما

---

(١٩) اوديسة هوميروس ، ترجمة امين سلامة ، دار الآداب ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، جـ ١ ، ص ٢٦٦ ـ و ، هوميروس ، الاوديسة ، ترجمة عنبرة الخالدى ، دار العلم للملايين ، بيروت نوفمبر ١٩٧٤ م . ص ١٣٥ .

(٢٠) فرجيل ، الانيادة ، ترجمة عنبرة سلام الخالدى ، دار العلم للملايين ، بيروت (يناير ١٩٧٥) ص ١٤٩ .

(٢١) « بلفينش » ، المرجع السابق ، ص ٣٦٧ ومابعدها .

(٢٢) عند الحديث عن اساطير اليونان وتصوراتهم لفكرة الزمن لابد من الاشارة الى التصور الفلسفى الاغريقى وبخاصة فى المدرسة الايلية التى خرجت من اطار التأمل الاسطورى الى النظر الفلسفى ، حينما نادى بارمنيدس فى النصف الاول من القرن الخامس قبل الميلاد بفكرة الثبات مقابل التغير . وان الحقيقة لابد ان تكون عقلية لتكون ثابتة ودائمة . واما المدركات الحسية فمتغيرة وبها كثرة وتعدد ، واذن فهي ظواهر لا تمت بصلة الى الحقيقة الواحدة الساكنة الأزلية الابدية . وقد تبعه فى ذلك تلميذه زينون الايلى ٤٩٠ ـ ٤٣٠ ق . م ، الذى برهن على استحالة الحركة والكثرة تأييدا لمذهب بارمنيدس فى ان الكون ـ واحد وساكن ـ وقد اعتبره ارسطو اول من استخدم الطريقة الجدلية .

الاشارة الى قصيدتي « الاعمال والايـام » وتيوجونيا « Theogonia » (٢٣) وهما من الشعر التعليمي وتنسبان الى هزيود Hesiod (القرن الثامن ق.م) . القصيـدة الاولى (الاعمال والايام) تنقسم الى ثلاثة اقسام ـ الاول يرتبط بالصراع الذى قام بين هزيود واخيه ، وبيان ما ينبغى أن تكون عليه الحياة الاجتماعية والاخلاق والعدل .

والقسـم الثانى يتضمن وصـفا لأعمال الحقل من بداية الخريف بأعمال الحرث وتنتهى بعد عام فى الخريف التالى بأعمال الحصاد . أما القسم الثالث فهو عبارة عن تقويم فلكى قسم فيه الشاعر ايام الشهر وفقا لعقائد دينيـة كانت منتشرة فى عصره الى قسمين ـ أيـام سعاده تنجح فيها المشروعات وتؤتى الأعمال اكلها ، وايام نحس يخفق فيها كل ما يقوم به الانسان أو بعضه .

اما في « التيوجونيا » فهو يعرض لتاريخ الآلهة ويبين انسابهم (Theos-Gonos) واصولهم وشعورهم ويترجم لكل منهـم ، فيفصـل وظائفه واعماله وتاريخ حياته ... ... ويتناول بداية الوجود حيث كان العماء (chaos) ولا شيء غير العماء قبل خلـق السماء والارض والشمس وسائر أجـرام السماء . (٢٤) .

والواقع ان الدارس لأساطير الشعوب سيجد متماثلات فى بعض عناصرها سواء ما يرتبط بفكرة الخلق أو آلهة مظاهر الكون ، كما تتداخل عناصر من أساطـير الشرق فى التراث الاغريقي ، وهذا يرجع الى أن معظـم الاساطير اليونانية دونت فى حقبة متاخرة الى حد ما (القرن التاسع قبل الميلاد) وكانت الصلات القديمة بين الشرق والغرب تسـبق ذلك بفعل الهجرات البشرية ورحلات التجارة .

كمـا حملت حملات الغـزو فى العصر الهليستيني مع جحافل جيوش الاسـكندر (٣٥٦ ـ ٣٢٣ ق.م) عناصر ثقافية اغريقية الى دول الشرق في مصر وفارس والهند . كما عادت بعناصر من ثقافات هذه الشعوب .

واذا تأملنا فكرة الزمن فى الأساطـير الهندية بالنسبة لموضوع الزمن ، سنجد أنه لا انفصام بين ما كان وما هو كائن ، بل الزمن كما يرمز له بعجلة مكتملة الاسـتدارة من العجلات الاثنتي عشرة التى تحمل عربة الشمس فى رحلتها المستمرة وتكون **مكتملة النهاية هى البداية** ، كما أن العالم الأرضى متلاصق مع عالم السماء في تزاوج واتحاد ، والعالم كله كيان واحد ينتمى الى براهما روح الوجود .

وعالم الأرواح هو العالـم الحقيقي . ورهبان (المونى) المتمنطقون بالريح ، المكتسون بالمآزر الصفراء لهم القدرة على الصعـود بالروح دون الجسد لزيارة عالم الآلهة وممارسة النورانية (٢٥) .

---

(٢٣) انظر :

New Larousse Encyclopedia of Mythology
Dorson, Richard, Londondon 1969, Paul Hamlyn — London PP. 87-90.

(٢٤) انظر على عبد الواحد وافى ، الادب اليـونانى القديم ودلالته على عقائد اليونان ونظامهم الاجتماعى ، ص ٨٨ ـ ١٠١

(٢٥) Ions, Veronica, Indian Mythology, Verona — London 1958, Paul Hamlyn (second edition) 1968, pp. 24-36.
Larousse Encyclopedia of Mythology, Indian Mythology, pp. 324-378

و ـ نورمان براون ، أساطير الهند ص ٢٤٥ ـ ٢٨٨ من كتاب اساطير العالم القديم .

وفى نصوص الفيدا توصف الشمس بانها حصان سماوى ورأس الحصان يرمز لشروق الشمس . ففى أشعار الريجفيدا (١-١٦٣/٦) نجد وصفا لذلك فى عبارة (لقد عرفتك بعقلى منذ أن كنت بعيدا أنت الطائر الذى يطير عاليا من أسفل السماء ، لقد رأيت رأسا بأجنحة تكدح فى هدوء) .

وفى نصوص الفيدا نجد الشمس توصف ايضا بأنها وجه الآلهة ، وأن الرياح تحجب عين الشمس برذاذ المطر (فيدا ٢٥/٥٩) هذا التصور نفسه نجده في الاساطير اليونانية وفى وصف هزيود للشمس ... (٢٦) .

والأساطير الفارسية حينما تتناول موضوع خلق العالم نلحظ أن فكرة الصراع تعتمد على التنازع الموجود بين الخير والشر أو بين النور والظلام ، وبين الحياة واللاحياة ، كما نجد عناصر من الأساطير الهندية وبخاصة ما يرتبط بالارض (الام) تلك المقولة الشائعة فى أساطير الشرق بصفة عامة .

وفى العقيدة الزرادشتية نجد الزمن متصلا بالنسبة لأرواح الموتى الطيبين ، اذا تسكن الى الابد مع الآلهة الروحانيين فى النعيم كله الى الابد حيث النور اللانهائي ، أما الارواح الشريرة فتمكث فى الجحيم حيث الكلمات والافكار الشريرة (٢٧) .

وتتضمن الشاهنامة للفردوسي (٣٢٩هـ/٩٤٠م - ٤١١هـ/١٠٢٠م) قصة خلق العالم والسماء والارض ونظام السماء والنجوم المتحكمة فى المصائر ثم خلق الانسان ... (٢٨) .

والرمز فى الاساطير هو محاولة انسانية لتقريب الغيبي على أسس من المنطق والادراك الحسي .

زمن الموتى :

ففي اساطير الهند كما فى اساطير الاغريق نلحظ وجود زمنين ، زمن « أرواح الموتى » وزمن الاحياء ... وزمن « أرواح الموتى » **هو زمن سابق على زمن الاحياء** ... « واحداث الحياة » لها وجود سابق فى زمن أرواح الموتى. فهي مقدرة ومسبقة بفعل قوى « العالم الالهي ، تدركها « الارواح » وتنبىء عنها لمن تريد من بني الانسان .. واحداث الانسان لها وجود « حاضر » **خارج** « زمن الانسان » . وهي مستقبل سيكون فى زمن الاحياء .. فهي حاضر ومستقبل . حاضر فى عالم الارواح ومستقبل فى الحدث الانساني - فوجودها هو وجود (بلا تشيؤ) فى عالم الارواح حيث الاوراح نفسها كالاشباح أو الحلم ... وازدواجية الكيان الانساني .. (روح وجسد) هي نفسها ازدواجية الزمن « قبلي » و « بعدي » - الحدث كما هو موجود ومفروض ومقدر ، ووقوع « الحدث » فى عالم الانسان هو أمر محدد من قبل .

---

(٢٦) راجع الدراسة المقارنة للأساطير الهندوكية والاغريقية فى كتاب :
Dorson, Richard (ed.) Peasant Customs and Savage Myths. Vo. 1. pp. 87-89.

(٢٧) م . ج . درسدن ، اساطير ايران القديمة ، ص ٢٨٩ - ٣١٧ من كتاب أساطير العالم القديم ، عصر الأساطير ، ص ٤٣٤ - ٤٣٧ .

(٢٨) محمد غنيمى هلال ، مختارات من الشعر الفارسي ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٥ ، ص ٢٤١ وما بعدها .

واحسان يار شاطر ، الاساطير الايرانية القديمة ، ترجمة محمد صادق نشات ، دار الانجلو المصرية ، الطبعة الاولى، ١٩٦٥ .

كما ان لبعض البشر القدرة على ادراك المستقبل،وذلك باجتهادات خاصة وممارسات **لا يقدر عليها غير هؤلاء** ـ من الصفوة المتازة من البشر ـ الذين لهم القدرة على (خلاص) الروح من أسر الجسد .. وهو خلاص يعود الى فعل ارادي انساني يتيح للروح الخلاص ، وموهبة توهب من عالم السماء ، وتنتمي الى « قوة » خاصة يختص بها بعض الناس وهم قلة نادرة .. فيكون فى الامكان استباق الاحداث ومعرفة ما سيكون فى عالم الارض قبل حدوثه .. فزمن الارض هو انعكاس للزمن المطلق حيث الحاضر هو مستقبل وماض فى آن . وزمن **الانسان** هو **زمن لاحق لزمن السماء** حيث النور الالهي .. وقد ظل هذا التصور فى المعتقدات الشعبية شائعا الى الان بأشكال مختلفة ، وتحمل حكايات الشعوب عناصر كثيرة منه .

اما بالنسبة للاساطير والحكايات الخرافية الصينية ، يلاحظ عدم وجود قصة حقيقية عن الخلق . اذ نلحظ ان الفكر الاسطوري الصيني ـ وحكاياته يهتم اكثر ما يهتم ، بعلاقة الانسان بالانسان.وفى توافق الانسان مع الكون المادي، مع اهتمام نسبي قليل بالاصول الكونية للانسان . ويذهب «دبرلاين» الى ان الحكايات التعليلية قلما تظهر عند الصينيين . وقد اعتقد الصينيون قديما فى غير شمس واحدة، بل عشر شموس تظهر كل منها على التعاقب فى كل يوم من أيام الاسبوع الصيني ذي الايام العشرة ـ مثل التقسيم المصري القديم ـ وقد وقع فى يوم ما ، فى زمن ما ، يحدد عادة فى عهد « ياو » أن الشموس العشرة ظهرت كلها فى اعقاب بعض الاضطرابات حتى بدا كان الدنيا قد أوشكت أن تحترق ، الى ان عمد « يي » « او هويي » حامل القوس المشهور فرماها جميعا الا واحدة . (٢٩) .

وتروي الحكاية الخرافية أن الشمس العاشرة كانت تحتمي فى شجرة الفاكهة تلك الشجرة التي لم تعد بعد ذلك تخشى الشمس وانما تنمو فى غير عناء ، وما زال الانسان حتى اليوم يرى على وريقاتها حبات صغيرة من اللؤلؤ ، وأما دودة المطر التي افشت سر الشمس ، فقد اقتفت الشمس اثرها وكانت تجففها كلما طلعت من باطن الارض (٣٠) .

ويلاحظ من حكايات واساطير الصين انها خليط من عناصر واساطير الشعوب الشرقية الاخرى ، كما نلحظ ذلك ايضا فى الاساطير اليابانية التي تجعلها اقرب الى القصص الروائي منه الى الملحمة .. (٣١) .

من هذا العرض الموجز لفكرة الخلق والموت والبعث والخلود « موضوع الزمن » ، فى بعض الاساطير القديمة لبعض الشعوب نتبين انها كلها تحاول ايجاد علاقة منطقية وتصور ذهني لزمن الانسان مع زمن الكون... وزمن الانسان هو زمن وجوده المتزمن فى الزمن الكوني (٣٢) .

وحينما يقترب المرء من مجموعة الاساطير الفلكية ـ يشعر على الفور انها قصص تفسيرية شارحة ، فضوء الشمس يختلف ايما اختلاف عن ضوء القمر ، والشمس تشرق

---

(٢٩) ديرك بوى ، اساطير الصين القديمة ، ٣٢٧ ـ٣٦٧ من اساطير العالم القديم .

(٣٠) فون دير لاين ، الحكاية الخرافية ، ترجمة ،نبيلة ابراهيم ، دار القلم ، بيروت ، ابريل ١٩٧٣ .

(٣١) انظر عرضنا لأساطير الخلق فى اليابان بمقالنا(اساطير الخلق ، مجلة عالم الفكر المجلد الثانى ـ العدد الاول / ابريل سنة ١٩٧٢) .

(٣٢) قال الله تعالى : (ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده ، وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون) . سورة الحج ـ الآية ٤٧ .

فى النهار والقمر والنجوم تطلع بالليل ، واغلب النجوم ينتظم فى عناقيد نسميها الابراج ، وكل هذه الحقائق وكثير غيرها يثير السؤال ، لماذا ... ؟ ولقد حاول الانسان بطريقته المعتادة ، أن يجيب على هذا السؤال ، لا عن طريق البحث والاستقصاء العقلي ، فهذه الامور تتصل بمرحلة متقدمة من تطوره الروحي ، بل حاول الاجابة عليه باختراع قصة جيدة ، ومن هنا نشأت قصص كثيرة عن زواج الشمس والقمر » (٣٣) .

وابتدع الانسان « الكلمات » لتدل على « الاشياء » المدركة والحادثة ، وقسم « الحدث » الى ماض وحاضر ومستقبل ، باعتبار أن الحاضر هو المتغير بين الماضي « الثابت » الذي يخرج عن قدرات الانسان الآنية ، باعتبار أنه تم بالفعل . والمستقبل الاحتمالي الذي يخرج أيضا عن دائرة الفعل الآني للانسان ، باعتبار أن المستقبل فرض (ممكن الحدوث) ولم يحدث بعد . وربط الانسان بين الازل والابد بوجوده هو — كما جعل العلاقة القائمة بين القبلي والبعدي ، مرتبطة بمعرفته ، فى نقطة تماس تجريدية .

رحلات الانسان الى عوالم اخرى :

ومن هنا كان نظر الانسان من خلال تصوره الاسطوري وحكاياته الشعبية وخرافاته وتجريداته الذهنية وتصوراته الفكرية ، هو محاولة للخروج من الجزئي المتغير الى الكلي المطلق ، حيث كان هبوطه من الكلي الثابت الى الجزئي المتغير هو حالة من حالات وجوده الكلي ليصعد من جديد الى عالم الخلود ....

وحينما عبر الانسان عن زمنه هو بين الهبوط والتطلع الى الخلود ... ، ربط ذلك بواقع حياته على الارض... واصطنع الانسان حكايات كثيرة تتضمن صورا من الاحداث والمغامرات التي صاغها الانسان بخياله ، تجمع فى جزئياتها مزيجا من عالم الواقع مع عالم الخيال . فافترض رحلات قام بها اشخاص الى عالم السماء او الى عوالم غير العالم الارضي السطحي ، فمنهم من نزل الى اعماق الارض حيث عالم الجنيات ، أو غاص فى أعماق اليم ، أو رحل الى جزر مجهولة حيث مساكن الجنيات والكائنات المسخ . او الى منازل الارواح ، أو حيث تقيم كائنات غيبية لها قدرات البشر ، وصفات غير بشرية وان تمثلت فى شكل بشر . منها ما يرتبط بعالم النور او عالم الظلام ، عالم الخير وعالم الضرر .

وقد يحدث تزاوج بين الانسان وكائنات من هذه العوالم فوق الواقعية ، حيث يمتزج الخيال بالوهم ، والتصور الذهني بالحلم ، فى رؤية تصويرية خارقة لوجود يفوق الوجود الانساني او ادنى منه . وهي افتراضات تعبر عن محاولة الخروج من عالم « الزمان والمكان » الانساني الى عالم يفوق عالم الانسان — والزمن فيه يفوق حساب الايام والسنين ، فيحقق الانسان فى لحظات غيابه أعمالا ، لا تتيسر له ولو امضى فى الزمان الانساني اياما أو شهورا او اعواما . فتكون اللحظة من عمر الزمان فى هذه الحالة تفوق فترات من زمن الانسان ، ويحقق الانسان بمعاونة القوى الغيبية مالا يستطيع تحقيقه بالفعل الارادي ، بالنسبة الى تقويم الانسان ... وتكون اللحظة كطرف

---

(٣٣) الكزاندر هجرتى كراب ، علم الفلوكلور ، ترجمة ، رشدى صالح ، دار الكاتب العربى للطباعةوالنشر، القاهرة ، ١٩٦٧ م . ص ٤٠٩ .

وراجع ايضا مقالنا « اساطير الخلق » (السابق الاشارةاليه) — عن حكايات الصراع بين الشمس والقمر .

البصر ، أو قبل أن يرتد طرف البصر ، أو كالحلم الذي يمضي بأحداثه (٣٤) .

« وقد زعم العرب أيضا ان التناكح والتلاقح قد يقع بين الجن والانس . وانهم يظهرون لهم ويكلمونهم ، وتسمّى الجن الى انواع » ... (٣٥) .

كما تتضمن قصص العرب حكايات عن علاقات الجن والانس ، اذ يختطف الجان فتاة ، وتغيب مدة من الزمان ثم تعود الى اهلها ولكن تظل على صلة بمن اختطفها . وبينه وبينها أمارة اذا احتاجت اليه دعته بها .(٣٦).

وتتعدد طرز الحكايات العربية وعناصر سعي ابطال الحكايات لتحقيق اشياء من خارج عالم الارض ، عالم الزمان والمكان . (٣٧) .

طقوس ومعتقدات ..... : ـ

نسب الانسان بتصوراته الاسطورية قوى غيبية لكل ظاهرة من ظاهرات الكون . واعطى لكل مظهر من مظاهر الطبيعة رمزا غيبيا سجله في اساطيره ، وصاغ حوله القصص والحكايات ، وما زالت بعض الشعوب الفطرية تقدس بعض هذه الظواهر ، كما حمل الموروث الثقافي للانسان المعاصر عادات وتقاليد تمارس في مناسبات معينة من السنة ..... وطقوسا تؤدى في اثناء حدوث تغير مفاجيء في بعض الظواهر ، من كسوف للشمس ، أو خسوف للقمر ، او هبوب عواصف رعدية ، او حدوث جفاف ، بتأخير فيضان الانهار او تأخر سقوط الأمطار .

وبين قبائل البربر في شمال افريقيا ، ما زالت بعض البقايا الطقوسية من معتقداتهم القديمة تمارس للان . « كالنار التي تضرم في الصيف عند بلوغ الشمس ابعد نقطة في السماء وذلك يوم ٢٤ يونيو (حزيران) ويقوم الناس في منطقة الريف الجبلية بالقفز فوق تلك النار » (٣٨) .

كما تمارس مثل هذه العادات عند الشعوب السلافية وبين فلاحي اوروبا ، وهذه الاحتفالات تدل على أن قداسة النار قديما ما زالت عناصر منها متوارثة ، بشكل مغاير ومفهوم ووظيفتين مختلفتين لما كانت عليه من قبل منذ أن اقتبس بروميثيوس (Promethius) النار المقدسة من الآلهة ونقلها من عالم السماوات الى الارض .

ويرى كيلي Walter K. Kelly احد علماء الاساطير المقارن في النصف الاول من

---

(٣٤) راجع الفصل الخامس ، الخاص بحكايات رحلات الى عوالم اخرى غير عالم الانسان الارضي في كتاب :
Thompson Stith, The Folktale. New York 1946, Holt Rinehart and Winston. pp. 345-352.

ولنفس المؤلف انظر ايضا فهرس (طرز الحكايات الشعبية) التي تتضمن عناصر رئيسية عن القوى البشرية التي تساعد ابطال الحكايات .

(٣٥) انظر الفصل الخاص بالجن من كتاب : الموروث الشعبي في آثار الجاحظ ، منشورات وزارة الاعلام ، الجمهورية العراقية ، سلسلة المعاجم والفهارس بغداد ١٩٧٦ ، ص ٦٧ ـ ٨١ .

(٣٦) قصص العرب ، محمد أحمد جاد المولى وآخران ، عيسى البابي الحلبي وشركاه طبعة جديدة بها اضافات ـ القاهرة ١٩٧٢ م ، ج (٤) ص ٣٩٦ ـ ٣٩٧ القصة ١٢٩ (جان يختطف فتاة) .

(٣٧) راجع ، حكايات الف ليلة وليلة . وانظر ، الف ليلة وليلة للدكتورة سهير القلماوي الفصل الخاص بالخوارق . دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٩ .

(٣٨) دنيس بولم ، الحضارات الافريقية ، ترجمة علي شاهين ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٤ ، ص ١٣٤ .

القرن التاسع عشر أن هذه العادات الاحتفالية ترجع الى الممارسات الطقوسية القديمة التي كانت تمارسها الشعوب الآرية . ودراستنا لهذه الاحتفالات الطقوسية هو مفتاح لفهم الاساطير الافريقية والهندية (٣٩) .

وبين قبائل السنسى (Sencis) فى بيرو يطلقون سهاما مشتعلة فى اتجاه الشمس عند الكسوف . ولكن الظاهر أنهم لم يكونوا يفعلون ذلك لاشعال مصباحها من جديد بقدر ما كانوا يقصدون به طرد حيوان متوحش يعتقدون أن الشمس تصارعه ، وعلى العكس من ذلك فان بعض قبائل الهنود الحمر فى أوريكو كانوا يدفنون فى الارض بعض قطع الخشب المشتعل وقت خسوف القمر لاعتقادهم انه اذا انطفأ نور القمر فسوف تنطفىء كل نار على الارض ما عدا النار التي اخفيت عن ناظريه (٤٠) .

واطلاق سهم اتجاه الشمس أشرنا اليه فى الاساطير الصينية ولكن بمفهوم مغاير ، اذ كانوا يعتقدون بوجود عشرة شموس تتصارع .

وكما احتفى الانسان فى تصوره الفطري بالشمس كمعبود أكبر من الاجرام السماوية والاكثر نورانية احتفى بالقمر « وقد اعتقد الناس فى الازمنة القديمة أن الانسان يمر بأحوال متعاقبة من النمو والفناء والحياة والموت الى غير نهاية مطابقا بذلك أطوار نمو القمر وزواله » . (٤١) .

وتتصور قبائل البوشمان الافريقية ، خسوف القمر على أن القمر ينقلب على ظهره « انه يرقد فارغا ، انه يقتل نفسه ، انه يحمل الناس الذين ماتوا » (٤٢)

وحاول الانسان أن يصعد الى القمر ليعرف سر الحياة عليه ، وليكشف عن أسرار التغير الذي يصيبه ، فصنع الابراج التي قصرت عن أن تصل اليه ، وانطلق بأجنحة الطير التي عجزت عن أن تحمله مسافات عليا كما تروي الاساطير الافريقية (٤٣) ، والحكايات العربية .

وكلها مع غيرها من حكايات الشعوب تهدف الى أن يخرج الانسان من حيز الارض ، حيث الزمان المتغير ، الى الفضاء حيث الزمان بلا تغير .

والتشاؤم من كسوف الشمس وخسوف القمر يرتبط فى التصور الانساني ببداية انتهاء الوجود الانساني فيلجأ الى الله بالدعاء ليكشف الغمة .

« وكان العرب فى الجاهلية يربطون بين ظواهر الطبيعة وبين أسباب وهمية لا تمت اليها بصلة .

---

(٣٩) Dorson, R., Peasant Customs and Savage Myths. Vol. I, P. 120.
,, The British Folklorists. A History. London 1968, pp. 171-174.

(٤٠) راجع ، التحكم في الشمس عن طريق السحر ، فريزر ، الفصن الذهبي ، جـ ١ ، ص ٢٨٩ – ٣٠٤ .

(٤١) راجع موقف سيدنا ابراهيم عليه السلام ، ازاء ظواهر الكون ، وحدسه الفطرى الذي هداه الى ادراك سر التغير فى اجرام السماء .

القرآن الكريم – سورة الانعام ، الآيات من ٧٤ – ٧٩ .

فريزر ، الفولكلور فى العهد القديم ، جـ ١ ص٦٦ – ٦٧ .

(٤٢) Werner, Alice, African Mythology, in: The Mythology of all Races. New York 1964, Cooper Sqare Publishers, Vol. VII. pp. 227-228.

(٤٣) فريزر ، الفولكلور فى العهد القديم جـ ١ ، ٢٢٦ – ٢٢٧ .

فيوم توفي ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدث كشوف للشمس فظنه الناس معجزة تحدث لهذه المناسبة ، فقال صلى الله عليه وسلم ..... ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته) .

ونهى الاسلام عن اعطاء الظواهر الطبيعية اية قيمة غيبية ، فسبحانه .... : « هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون » (٤٤) فالله سبحانه وتعالى هو الذي خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام وهو الذي (يدير الامر من السماء الى الارض ثم يَعْرُجُ اليه فى يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون) (٤٥) .

« تعرج الملائكة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة * فاصبر صبرا جميلا * انهم يرونه بعيدا * ونراه قريبا * يوم تكون السماء كالمهل * وتكون الجبال كالعهن » (٤٦) .

و « اختلاف التقدير فى الايام على النحو الذى تشير اليه بعض آيات القرآن الكريم يفهم اذا علمنا أن الزمان هو أمر نسبى ، وهو كما نعلم يقدر بحركة الافلاك فى مجموعتنا الشمسية ، اما خارج هذه المجموعة فليس زمانا بالمعنى الذى نفهمه نحن على الارض » ..... (٤٧).

ولقد حدد الفكر الدينى بشكل مباشر من خلال الكتب السماوية ، جوانب وعلاقات فى المعرفة البشرية واضافة معارف الى الفكر الانسانى ... تحدد موقف الانسان تجاه الكون .

كما ساعدت جهود الاثنولوجيين والفلوكلوريين وعلماء الدراسات المقارنة للاساطير والحكايات الشعبية فى تفسير بعض انماط السلوك الفطرى وعادات بعض الشعوب وبخاصة ازاء « قلق » الانسان المستمر بسبب التغيرات الحادثة فى بعض الظواهر الطبيعية ، وقد كانت تمارس طقوسا لكف المطر او الاستسقاء .

ويذكر لنا المؤرخ العربي المقريزى ان احدى قبائل البدو فى حضرموت وهى قبيلة القمر يقومون بقطع غصن شجرة معينة فى الصحراء ويشعلون فيها النار ثم يرشون الماء بعد ذلك على الخشب المشتعل ، فيقل هطول المطر حتى تتوقف تماما ، مثلما تختفي المياه التي ترش على الخشب المتوهج (٤٩) .

كما يروى أيضا أن العرب « كانت اذا ابطأ المطر شدت العشر ـ وهو خشب لم يقتدح الناس فى أجود منه ـ والسلع وهما ضربان من النبت ، في أذناب البقر والهبوا فيه النار ،

---

(٤٤) القرآن الكريم ، سورة يونس ، الآية (٥) .

(٤٥) القرآن الكريم ، سورة السجدة ، الآية (٥) .

(٤٦) القرآن الكريم ، سورة المعارج ، الآيات ٤ ـ٩ .

(٤٧) أبو الوفا التفتازاني ، الانسان والكون فى الاسلام ، مجلة عالم الفكر ، المجلد الاول ، العدد الثالث ـ اكتوبر/نوفمبر/ديسمبر ، ١٩٧٠ ، ص ٩٧ ـ ١٤٠ .

(٤٨) راجع القائمة البيليوجرافية الوافية عن هذا الموضوع فى كتاب :

Dorson, Richard, The British Folklorists, A History, pp. 442-460.

(٤٩) فريزر ، الغصن الذهبي ، ج ١ ، ص ٢٥٤ .

وشردوا البقر تفاؤلا بالبرق والمطر وفى ذلك يقول الشاعر : ــ

« أجاعل انت بيقورا مضرمـــة

ذريعة لك بين الله والمطر »

وفى الشعوب البدائية والافريقية تمارس (٥٠) طقوس وعادات مختلفة ترتبط بتفسيرات الظواهر الطبيعية وقد تضمنتها الدراسات الاثنوجرافية والاثنولوجية والفلوكلورية (٥١) وتتعدد وتنوع عناصر مروياتها الشفاهية من شعب الى آخر . وتدور حول محورين أساسيين الخلق والفناء أو الميلاد والموت وما بينهما من حالات تغير فى الزمان المرتبط بالمكان وفى علاقة السماء بالارض . ودورة الحياة ــ حياة الكون وحياة الانسان وربط الانسان تصوره للزمن بواقع حياته . وقسم الزمن الى أمنة، زمن العالم ، وزمن التقويم وزمنه هو . ويصير لعالم الذوات L'intersubjectivité

« زمنه الخاص وحدوده وأبعاده . (٥٢)

اما زمن الانسان فهو وجوده ــ وهو حالة بين ما كان وما سيكون . وهو الحاضر فى أزمنة الفعل الكلي للوجود المطلق اذا جاز تقسيم الزمن الى آنات بين ماض وحاضر ومستقبل .

أما قصة وجود الانسان ، التي توارثها خلال مروياته ، الشفاهية وسجلها فى موروثاته الثقافية فهي أساس المحصلة التاريخية لمعارفه المتقطعة التي كونت معارفه .

وسواء كانت المعرفة الانسانية معرفة متقطعة أم أن الثقافة الانسانية (شيء مطلق « مثال » وكل الثقافات تحمل مكونات متماثلة نابعة من القوانين الكونية التي تحكم عمليات التي تحكم عمليات الادراك . أم كان ذلك بالنسبة لاصحاب الفكرة القائلة بأن الثقافة « شيء » موضوعي ، وطرز الثقافة تتغاير وتختلف لارتباطها بموضوع التجربة الانسانية وتتنوع وتتعدد « طرز التجربة العملية » للانسان . ففي الواقع أنه من الصعوبة بمكان، وضع مقياس عام للظاهرات الثقافية . أو كما يقول مالينوفسكى : ان القوانين التى تحكم العمليات الثقافية غامضة وعديمة الفائدة والدلالة « (٥٣) كما أن المعرفة التاريخية من وجهة نظر ليفى شتروس هى « معرفة مثل غيرها من المعارف وانه لا يمكن أن توجد معرفة لما هو متصل ، ولكن فقط لما هو متقطع « (٥٤).

وحينما نحاول من جانبنا التعرف على عملية « ادراك » الزمن لدى الانسان من خلال

---

(٥٠) قصص العرب ، جمعها محمد احمد جاد المولي وآخرون ، عيسى البابى الحلبي وشركاه ، القاهرة عام ١٩٧١ جـ (١) ص (٣٩٣) .

(٥١) راجع العرض التفصيلي لهذه الجهود فى كتاب : R. Dorson, op. cit. والقائمة البيليوجرافية التي اوردها فى نهاية كل كتاب .

(٥٢) جان مارى اوزياس ، البنوية ، ترجمة ميخائيل مخول ، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق، ١٩٧٢م . ص ٦٩ .

(٥٣) Malinowski, Bronislaw, A Scientific Theory of Culture and other Essays, Oxford University Press, New York 1960, A Glaxy Book. p. 38.
Klyckhohn, Clyde, Universal Categories of Culture, in Anthropology Today", Chicago 1953, The University Press, 507-523.
Levi-Strauss. Claude, Social Structure, in "Anthropology Today", PP. 553

(٥٤) فقرة من الحوار الذي دار بين ليفي شتروس « الفريق الفلسفي » لمجلة « Esbrit » وقد نشرت المجلة هذه المحاورة فى نوفمبر ١٩٦٣م ــ راجع ص ٢٦٧ ــ ٣٠١ ، من كتاب « البنيوية » جان ماري اوزياس وآخرون ، ترجمة ، ميخائيل مخول ، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي ، ١٩٧٢ ، ص (٢٩٥) .

موروثه ومأثوره الثقافى ، فاننا في الواقع نحاول معرفة تصورات الانسان ازاء التغيرات الحادثة فى المكان ، وعلاقتها بالتغيرات المتتابعة خارج المكان في عالم الأجرام ، ومحاولة معرفة شكل العلاقة التى انشاها الانسان فى تقويم وتقييم أحداث حياته فى منظومة التاريخ البشرى ، بما فى منظومة التاريخ من اساطير مؤرخة وتأريخات (تفسيرات) تاريخية غدت اسطورة حسب قول جان بيير فاى Jean Pierre Faye (٥٥).

هذه العلاقة ... « التى تنشأ من تتابع » الفعل الكونى والانسانى ، هى بنية الزمن الكونى والانسانى فى آن . كما أن العلاقة بين الزمن الانسانى في تزامنه مع الزمن الكونى هى بنية المحصلة التاريخية للمعرفة البشرية.

وزمن الانسان هو معيار تقويم الاحداث فى تتابعها ، والمعرفة التاريخية هي تحييز للزمن فى أحداث وعلاقات ، وتحييز آخر ، لاحداث الوجود الانسانى (من خلال تجربة الحياة) في قطاعات مكانية وعلاقات انسانية ، وهو تحييز متقطع متواصل أيضا ، كتحييز تباعدات الانغام والايقاعات فى تتابعات متتالية متماثلة او غيرمتماثلة ، متآلفة أو غير متآلفة ، لتكون هى فى النهاية بنية « الفعل » الموسيقى فى تناغمه مع الفعل الانسانى .

النبـــوءة ..... : ـ

كما حاول الانسان استكناه سر تاريخه وادراك حاضره الزمني ، حاول أن يستبق الأحداث ليستشف « الحدث القادم » أو التنبوء بالواقع الذى سيكون ، باعتبار ان المستقبل كائن بالفعل فى آن مقبل . وهو حدث تام لم يدركه بعد .

وتدخر الثقافة الانسانية بتراثها الأدبي وماثوراتها الشفاهية ـ بأنماط من النبؤات التي روتها الملاحم والحكايات الشعبية . فيكون فى امكان المتنبىء معرفة الذى لم يحدث بعد فى زمن الانسان الحاضر ـ مما هو كائن فى زمن العالم الكوني .

وكان للعرافين اماكن خاصة يستطيع الواحد منهم استشفاف الحدث المستقبلي واستقراء النجوم واستلهام القوى الغيبية فى الاستدلال على ما سيكون .

وتلعب النبوءة فى الملاحم العربية كغيرها من الملاحم الانسانية دورا اساسيا فى تكوين البطل الملحمى . فالابطال يولدون وفق نبوءة تسبق مولدهم . وتصاحبها امارات تشير الى بطولة البطل الملحمي فى المستقبل القريب بعضها امارات كونية غير عادية ، وأغلبها امارات ملحمية تشير فى وضوح الى قوة البطل غير العادية التى تلفت الأنظار اليه لاول وهلة وتثير الدهشة والترقب في آن .

وتأتي هذه النبوءات التى ترهص أو تنبىء بميلاد البطل الملحمي عادة ـ فى صورة نبؤة « أو منام » أورؤيا صادقة يؤكدها بعد ذلك العرافون على صفحة الرمال ، والمنجمون من صفحة السماء ، والعارفون بتآويل الأحلام (٥٦) .

وفى ملحمة او سيرة البطل الملحمي العربى سيف بن ذى يزن نجد الوزير يثرب يضرب تخت الرمل على اسم الملك ذى يزن ليتأكد عما اذا كان هو هذا الملك الهمام .. الذى على يده انقاذ دعوة نوح عليه السلام أم غيره من الأنام .

---

(٥٥) المرجع السابق ، ص ، ٢٨٦ .

(٥٦) راجع د . محمد رجب النجار ، البطل فى الملاحم الشعبية العربية ، قضاياه وملامحه الفنية ، رسالة دكتوراه ، جامعة القاهرة ١٩٧٦ م « لم تنشر بعد » راجع الفصل الخاص بميلاد البطل ، ص ٥٤٣ .

وحينما يضرب الوزير يثرب تخت الرمل يعرف أن هذه الرسالة ستكون من مسئولية ابن من صلب الملك ذى يزن ..... وتروى السيرة فى ذلك صفات المولود الجديد الذى سيحمل الرسالة ويكون سيفا مصلتا على أعدائه تباركه وتحميه قوى السماء ..... وتمضى السيرة تروى كيف تحققت هذه النبوءة ... كما تروى قصص العرب أيضا أن سيف بن يزن نفسه قد بشر عبد المطلب برسول الله صلى الله عليه وسلم حينما حضر ضمن وفد من قريش لتهنئة سيف بن يزن لما ظفر بالحبشة . فقد أرسل سيف بن ذى يزن الى عبد المطلب بن هاشم وخلا به وأفضى اليه بما وجده فى .. « الكتاب المكنون والعلم المخزون الذى اخترناه لأنفسنا واحتجبناه دون غيرنا » . بأنه اذا ولد بتهامة غلام بين كتفيه شامة كانت له الامامة ولكم به الزعامة الى يوم القيامة »(٥٧) .

وتتضمن قصص العرب نماذج مختلفة ومتنوعة من البشارات والرؤى التي تسبق الاحداث ، وفراسة العرب فى استشفاف سلوك الناس وطرق تفكيرهم .

اما عنترة فلم يولد وفق نبوءة سبقت مولده « وتفسير ذلك يعود الى طبيعة القضية المحورية التي تنهض السيرة بمعالجتها (تحرير الفرد) . ولما كانت سيرة البطل فى الملحمة العربية قدرا لا سبيل الى تغييره ، ولما كان تحرير الفرد ، والصراع الداخلي في الملحمة العربية أمرين غير قَدَرِيَّين كنا أمام تناقض بين . ومن هنا لم يشأ القاص العربى أن يجعل عنترة وفق نبوءة ، هى سمة من سمات التشخيص الفنى للبطل الملحمى ، منعا لهذا التناقض ... »(٥٨) .

وفى سيرة ابي زيد الهلالي نجد موقفا آخر هو تحقيق الدعاء واستجابة رب العالمين لما تتمناه أم أبي زيد ، فيتحقق فى الزمن المستقبلى للانسان ما يرجوه دون فعل ارادى للانسان .

وتروى السيرة ان أم أبي زيد (لما تكامل حملها طلبت الرواح مع دايتها فاطمة الى البر فأخذوها الى عين ماء ، واذا بغراب أسود يطير مع جملة غربان ويضايقهم ويضربهم بمنقاره . وعادت الخضراء تنظر اليهم وقالت: اله السماء أسالك أن ترزقنى ولدا ذكرا ولو كان أسودا يطرد الفرسان مثل هذا الغراب يكر على فرسان البوادى جميعها ، ويعلو على كل البدو والحضر » . وهكذا ولد أبو زيد ، ابن الحرة ، أسودا فى لون العبيد ، قويا يفوق بقوته كل الفرسان .(٥٩) .

والنبوءة فى التصور الشعبي ، بجانب انها استباق للاحداث ، هي ايضا تجريد للمكان والزمان باعتبار ان « الحديث » هو تحييز للزمان فى المكان .

ورؤيا الأنبياء وأحلامهم هي رؤيا صادقة دائما، ومن الرؤى والاحلام ما يكون رؤية اختيارية بعمل شيء صعب . أو اخبارية لعمل شيء هام مثل رؤيا ابراهيم عليه السلام وفداء اسماعيل ورؤيا عزيز مصر وتفسير يوسف عليه السلام لها ، والاستعداد للسنوات السبع العجاف .

ونبوءة الوفاة للبطل الملحمي تأتي على غرار نبوءة الميلاد أو نبوءة النصر . والبطل يستقبل نبوءة الوفاة بصبر وايمان ، وهو قد يعرفها في فترة مبكرة من حياته ، لكن ذلك لايحول بينه

---

(٥٧) قصص العرب ، جزء (١) ص ١٠٤ – ١٠٧ .

(٥٨) د . محمد رجب النجار ، المرجع السابق ، ص ١٥ .

– راجع ايضا : محمود الحلني ، سيرة عنترة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة .

(٥٩) عبد الحميد يونس ، الهلالية فى التاريخ والادب ، ص ٤٣ – ٤٤ .

موروثه وماثوره الثقافى ، فاننا في الواقع نحاول معرفة تصورات الانسان ازاء التغيرات الحادثة فى المكان ، وعلاقتها بالتغيرات المتتابعة خارج المكان في عالم الأجرام ، ومحاولة معرفة شكل العلاقة التى انشاها الانسان فى تقويم وتقييم احداث حياته فى منظومة التاريخ البشرى ، بما فى منظومة التاريخ من اساطير مؤرخة وتاريخات (تفسيرات) تاريخية غدت اسطورة حسب قول جان بيير فاى Jean Pierre Faye (٥٥).

هذه العلاقة ... « التى تنشأ من تتابع » الفعل الكونى والانسانى ، هى بنية الزمن الكونى والانسانى فى آن . كما ان العلاقة بين الزمن الانسانى في تزامنه مع الزمن الكونى هى بنية المحصلة التاريخية للمعرفة البشرية.

وزمن الانسان هو معيار تقويم الاحداث فى تتابعها ، والمعرفة التاريخية هي تحييز للزمن فى احداث وعلاقات ، وتحييز آخر ، لاحداث الوجود الانسانى (من خلال تجربة الحياة) في قطاعات مكانية وعلاقات انسانية ، وهو تحييز متقطع متواصل أيضا ، كتحييز تباعدات الانغام والايقاعات فى تتابعات متتالية متماثلة او غير متماثلة ، متآلفة أو غير متآلفة ، لتكون هى فى النهاية بنية « الفعل » الموسيقى فى تناغمه مع الفعل الانسانى .

النبـــوءة ..... : ـ

كما حاول الانسان استكناه سر تاريخه وادراك حاضره الزمني ، حاول أن يستبق الأحداث ليستشف « الحدث القادم » أو التنبوء بالواقع الذى سيكون ، باعتبار ان المستقبل كائن بالفعل فى آن مقبل . وهو حدث تام لم يدركه بعد .

وتدخر الثقافة الانسانية بتراثها الأدبي وماثوراتها الشفاهية ـ بانماط من النبؤات التي روتها الملاحم والحكايات الشعبية . فيكون فى امكان المتنبىء معرفة الذى لم يحدث بعد فى زمن الانسان الحاضر ـ مما هو كائن فى زمن العالم الكوني .

وكان للعرافين اماكن خاصة يستطيع الواحد منهم استشفاف الحدث المستقبلي واستقراء النجوم واستلهام القوى الغيبية فى الاستدلال على ما سيكون .

وتلعب النبوءة فى الملاحم العربية كغيرها من الملاحم الانسانية دورا اساسيا فى تكوين البطل الملحمى . فالابطال يولدون وفق نبوءة تسبق مولدهم . وتصاحبها امارات تشير الى بطولة البطل الملحمي فى المستقبل القريب بعضها امارات كونية غير عادية ، وأغلبها امارات ملحمية تشير فى وضوح الى قوة البطل غير العادية التى تلفت الأنظار اليه لاول وهلة وتثير الدهشة والترقب في آن .

وتأتي هذه النبوءات التى ترهص أو تنبىء بميلاد البطل الملحمي عادة ـ فى صورة نبؤة « أو منام » أورؤيا صادقة يؤكدها بعد ذلك العرافون على صفحة الرمال ، والمنجمون من صفحة السماء ، والعارفون بتأويل الأحلام (٥٦) .

وفى ملحمة أو سيرة البطل الملحمي العربى سيف بن ذى يزن نجد الوزير يثرب يضرب تخت الرمل على اسم الملك ذى يزن ليتأكد عما اذا كان هو هذا الملك الهمام ـ الذى على يده انقاذ دعوة نوح عليه السلام أم غيره من الأنام .

وحينما يضرب الوزير يثرب تخت الرمل يعرف أن هذه الرسالة ستكون من مسئولية ابن من صلب الملك ذى يزن ..... وتروى السيرة فى ذلك صفات المولود الجديد الذى سيحمل الرسالة ويكون سيفا مصلتا على أعدائه تباركه وتحميه قوى السماء ..... وتمضى السيرة تروى كيف تحققت هذه النبوءة ... كما تروى قصص العرب أيضا أن سيف بن يزن نفسه قد بشر عبد المطلب برسول الله صلى الله عليه وسلم حينما حضر ضمن وفد من قريش لتهنئة سيف بن يزن لما ظفر بالحبشة . فقد أرسل سيف بن ذى يزن الى عبد المطلب بن هاشم وخلا به وأفضى اليه بما وجده فى .. « الكتاب المكنون والعلم المخزون الذى اخترناه لأنفسنا واحتجبناه دون غيرنا » . بأنه اذا ولد بتهامة غلام بين كتفيه شامة كانت له الامامة ولكم به الزعامة الى يوم القيامة »(٥٧) .

وتتضمن قصص العرب نماذج مختلفة ومتنوعة من البشارات والرؤى التي تسبق الاحداث ، وفراسة العرب فى استشفاف سلوك الناس وطرق تفكيرهم .

اما عنترة فلم يولد وفق نبوءة سبقت مولده « وتفسير ذلك يعود الى طبيعة القضية المحورية التي تنهض السيرة بمعالجتها (تحرير الفرد) . ولما كانت سيرة البطل فى الملحمة العربية قدرا لا سبيل الى تغييره ، ولما كان تحرير الفرد ، والصراع الداخلي في الملحمة العربية أمرين غير قَدَرِيَّين كنا أمام تناقض بين . ومن هنا لم يشأ القاص العربى أن يجعل عنترة وفق نبوءة ، هى سمة من سمات التشخيص الفنى للبطل الملحمى ، منعا لهذا التناقض ... »(٥٨) .

وفى سيرة أبي زيد الهلالي نجد موقفا آخر هو تحقيق الدعاء واستجابة رب العالمين لما تتمناه أم أبي زيد ، فيتحقق فى الزمن المستقبلى للانسان ما يرجوه دون فعل ارادى للانسان .

وتروى السيرة ان أم ابي زيد (لما تكامل حملها طلبت الرواح مع دايتها فاطمة الى البر فأخذوها الى عين ماء ، واذا بغراب أسود يطير مع جملة غربان ويضايقهم ويضربهم بمنقاره . وعادت الخضراء تنظر اليهم وقالت: اله السماء أسالك ان ترزقنى ولدا ذكرا ولو كان أسودا يطرد الفرسان مثل هذا الغراب يكر على فرسان البوادى جميعها ، ويعلو على كل البدو والحضر » . وهكذا ولد أبو زيد ، ابن الحرة ، أسودا فى لون العبيد ، قويا يفوق بقوته كل الفرسان .(٥٩) .

والنبوءة فى التصور الشعبي ، بجانب انها استباق للاحداث ، هي ايضا تجريد للمكان والزمان باعتبار ان « الحديث » هو تحييز للزمان فى المكان .

ورؤيا الأنبياء واحلامهم هي رؤيا صادقة دائما، ومن الرؤى والاحلام ما يكون رؤية اختيارية بعمل شيء صعب . أو اخبارية لعمل شيء هام مثل رؤيا ابراهيم عليه السلام وفداء اسماعيل ورؤيا عزيز مصر وتفسير يوسف عليه السلام لها ، والاستعداد للسنوات السبع العجاف .

ونبوءة الوفاة للبطل الملحمي تأتي على غرار نبوءة الميلاد أو نبوءة النصر . والبطل يستقبل نبوءة الوفاة بصبر وايمان ، وهو قد يعرفها في فترة مبكرة من حياته ، لكن ذلك لايحول بينه

---

(٥٧) قصص العرب ، جزء (١) ص ١٠٤ – ١٠٧ .

(٥٨) د . محمد رجب النجار ، المرجع السابق ، ص ١٥ .

– راجع ايضا : محمود الحلني ، سيرة عنترة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة .

(٥٩) عبد الحميد يونس ، الهلالية فى التاريخ والادب ، ص ٤٣ – ٤٤ .

وبين بلوغ غاياته الملحمية وتحقيقها لسبب بسيط هو ، أن القدر كائن « و (البطل لايموت الا بعد القضاء على عنصر الشر فى الداخل فاذا ما تم له ذلك، وقضى عليه كان ذلك ايذانا ببداية النهاية » (٦٠)

وسيرة عنترة تكشف عن هذا الموقف بوضوح. فحينما يستشعر عنترة أن اصابته بالسهم الخوان الذى رماه به الأسد الرهيص غدرا وغيلة قد اصاب منه مقتلا فيرى أن موته قريب.

« ويدور حوار بين عبله وعنترة حول «الموت» وضرورة التسليم للقضاء والقدر ويأبى أن يبكيه أحد « فهذا حكم رب العباد الذى قضاه ، فلا اعتراض عليه فيما قضاه ... وكانت المدة بين اصابته بسهم الأسد الرهيص حتى وقوعه من فوق صهوة جواده الابجر هى خمسة أشهر الاخمسة أيام ـ ويموت عنترة ـ فى مشهد فني فريد بين الملاحم العالمية بعامة (٦١) » .... اذ يبقى على صهوة جواده «ميتا» ساعات طوالا واعداؤه يرونه «حيا» فوق صهوة جواده ، الى ان يخرج حصانه من دائرة البطولة الى طبيعته الغريزية فيسقط عنترة من فوق جواده الابجر .... وهنا أيضا يتجرد الأبجر من قيمته كجواد الفارس البطل الى فرس عادى ـ وكما يقال في الأمثال « الفرس من الفارس » وتسقط البطولة الملحمية للفرس بموت الفارس .

الزمن والقضاء والقدر :

والقضاء والقدر هو مقولة الوجود الانساني مقدر تقديرا مسبقا ، من حيث الزمن والكيفية ....ولا راد للقضاء والقدر، والحذر لا يحول دون القدر، ومن كان على الدار لا يأمن الغدار».

ومن قول كعب بن زهير بن أبن سلمى بعد ان أعلن اسلامه ....

« لو كنت أعجب من شيء لأعجبني
سعي الفتى وهو مخبوء له القدر

يسعى الفتى لأمور ليس يدركها
والنفس واحدة والهم منتشر

والمرء ما عاش محدود له أمل
لا تنتهي العين حتى ينتهى الأثر

وما على الانسان الا أن يصبر على حكم الزمان ... والزمان والايام والحياة والدنيا ترتبط في التصور لشعبي بمقولة واحدة وهي محدودية الزمن الانساني، وكلية القضاء والقدر الذى يتحكم فى هذا الزمن .... فاذا حان القضاء ضاق الفضاء «و»اذا جاء الحين حارت العين»واذا حلت المقادير بطلت التدابير«و» المقدر لا يغير و«المكتوب على الجبين لازم تشوفه العين» « ولا هروب من المكتوب » .

ومقولة القدر تتناولها الأمثال العربية والعالمية فى صياغات مختلفة ولكنها كلها معا تحدد أن لا مفر من القدر كما يقول المثل العربى والانجليزى و « كل بيد القدر » كما يعبر عن ذلك المثل اليوناني . كما أن المثل اللاتيني يقول « لا مكان يمكنك أن تهرب فيه من القدر » . والمثل الفرنسي يقول ... « منذ يوم ميلادك موتك محدد مثل حياتك » . والدنيا نانية فهي في حالة محددة من حالات الوجود المطلق وسنة الحياة أن « رحم يدفع وارض تبلع » فهى فى تغير مستمر و « دوام الحال من المحال » و « كل زمان له دولة ورجال » ـ كما تردد ذلك الامثال العربية والعالمية بصيغ مختلفة ومضمون واحد ،

---

(٦٠) راجع الفصل الخاص بموت عنترة ص ٨٩١ ـ ٩٠٠ ، من دراسة د . محمد رجب النجار التي سبق الاشارة اليها .
ـ والفصل الخاص بمرحلة التجريد او مرحلة الامتداد من كتاب ، محمود الحفني ، سيرة عنترة ، ص ٢١٤ وما بعدها .

(٦١) نفس المرجع السابق ص ٢١٠ ـ ٢١٢ .

فالمثل الفرنسي يقول ... : ـ « كل زمان له عاداته » والايطالي « كل شيء له نهاية » .

ويصور المثل الالماني الزمن بأنه « طيار » ويقول المثل اللاتيني « لا يوجد لجام يكبح الزمن » **وترتبط مقولة الصبر وقدرة التحمل بمقولة الزمن** باعتبار أن الصبر هو الذى يستطيع قهر المتغيرات والصبر هو حالة من حالات السكون ، مقابل حالة الصراع ، فالحياة تمضي بالانسان « يوم له ويوم عليه » « ولا يوجد غير الصبر لهذا الزمان علاج » كما يتردد فى المجتمع العربي . والمثل الانجليزى يقول « الزمن يشفي الاحزان » .

وعلى الانسان أن يتوافق مع تغيرات الزمان اذا الزمان لم يتوافق معه .... (أن ما وافقك الزمان وافقه) .

والامثال الشعبية ـ تعبر عن تجربة الانسان ورؤيته الفكرية للحياة بطريقة مالوفة صيغت في أسلوب مختصر سهل حتى يتداوله جمهور واسع من الناس ، وتتعدد الامثال العربية كغيرها من أمثال الشعوب فى التعبير الزمن « حال الدنيا المتغير عن القضاء والقدر القدر الذى يسير حياة الانسان وقد تناولنا ذلك بالتفصيل فى الدراسة المقارنة التي أعددناها مع الاستاذ/أحمد البشر الرومي عن الامثال الكويتية ونظيرها من أمثال عربية (تحت الطبع)

والاهتمام بموضوع الزمن فى التراث والمأثورات الثقافية للانسان وارتباطه بالظواهر الكونية واجرام السماء لم يقتصر على الدراسات الفولكلورية أو علم الاساطير المقارن وتاريخ الاديان المقارن والدراسات الاثنولوجية والبحث الفلسفي ، بل امتد الى مجالات متعددة من المعرفة العلمية والابداع الفني .

وانعكست المعارف الفكرية والعلمية على الفن باعتبار أن العمل الفني يجمع بين المعرفة الموروثة والاضافية الابداعية ، والفن مهما تعددت وسائل التعبير فيه ، فهو تعبير مباشر عن الخبرة الانسانية وكشف مباشر لجوهر المعرفة البشرية من خلال رؤية الفنان لحدث الحياة .

وقد اهتم كثير من الفنانين والادباء والروائيين والشعراء بقضية « الزمن » من حيث ارتباطها بمفهوم « الموت » والبعث والخلود ... فموت الانسان هو باعث التساؤل والبحث عن الخلود . **والخلود هو استعلاء على حالة التغير الحادث في زمن الانسان....**

●●●

خلاصة :

ويذخر التراث الثقافى للشعوب المختلفة بعديد من المعلومات والمدونات التاريخية والمأثورات الشفاهية والتصورات الفلسفية والمقولات الدينية التى تساعد بشكل ايجابي على امكانية تفسير مفهوم الزمن من خلال التصور الشعبي ، بأنه **ادارك للتغير الحادث في الوجود .**

فالزمن هو العلاقة القائمة بين التغيرات الحادثة فى عالم السماء بأجرامه ، وظواهره الطبيعية ، وبين الانسان في تجربة وجوده بين الميلاد والموت .

وذلك « الموت » نهاية زمن الانسان ـ الذى حاول الانسان ان يهرب منه ليفوق بارادته حتمية المصير .

وزمن الانسان ـ الفترة بين الميلاد والموت هو مجال اثبات قدرة الانسان على الخروج من اطار الحتمية الى اطار الحرية والاختيار بارادة الفعل . وهو وفى نفس الوقت تقويم لحدث الوجود الموقوت ببداية ونهاية .. وهو توقيت يرتبط بظواهر الكون كعلل لوجود الانسان بتغيراته المستمرة .

وتقوم لنا مجموعة الاساطير الكونية تفسيرات لعلل التغير الحادث والكامن فى هذه

الظواهر ، وعلاقة هذه الظواهر وعللها الغيبية بالانسان . كما تقدم الحكايات الشعبية نماذج من محاولات الانسان للخروج من عالم الارض الى عوالم اخرى ، حيث يكون اللقاء بين الانسان وبين قوى تصوّرية يفترض انها تتحكم في زمانه ، او قوى وكائنات تستطيع ان تساعده للخروج من دائرة الحتمي الى دائرة الممكن .

والاساطير مع الحكايات تشكل بعناصرها بنية المحاولات الابدية المستمرة للانسان للهروب من مصيره بأمل العثور على مخرج من صيرورة الفناء ليتجاوز عالمه الارضي ـ عالم الفناء ـ الى عوالم اخرى حيث البقاء والخلود ...

فجلجامش يبحث منذ القدم عن اكسير الشباب الدائم ، واديسيوس يسعى ليتوافق مع الآلهة التي حددت قدره ويحاول ان يعدل من مستقبل وجوده ، وفي مصر القديمة ينظر الانسان الى الموت بأنه حالة من حالات الحياة .. فالحياة ـ « حياته هو » وحياة الكون ـ هي حاضر مستمر .

وفي الهند لاحظنا اكتمال دورة الحياة ، وفي فارس حالة تقابل بين النور والظلام .... وكلها معا تقدم مقولة الموت ، في ازدواجية الوجود الانسان ، بن عالمين ، عالم الجسد الفاني وعالم الروح الباقية . ماعدا مصر حيث تنتفي الازدواجية وتتلاقي الكا والبا والخو . كتلاقي اشعة الشمس مع قرصها مع الروح ـ آتون ـ واهبة الحياة للشمس وكل الكائنات في بنية الوجود الكلي للانسان والطبيعة والكون وعالم الاله الواحد آتون .

والطقوس والقرابين عند كل الشعوب هي محاولة من الانسان ليكون وجوده في عالم الارواح افضل من وجوده في عالم الارض .

كما ان رحلات الانسان الى عوالم غير عالمه الارضي ، هي محاولة اخرى ، للبحث عن « مكان » يغاير في طبيعته مكانه المرتبط بزمانه المحدود .

وتدور معظم الحكايات والاساطير التي تتناول موضوع زمن الانسان حول محورين اساسيين ... احدهما الارادة والقدرة على الفعل ... وثانيهما القدر وعدم قدرة الانسان على تحقيق الفعل .

ويتفرع من هذين العنصرين الاساسيين عناصر فرعية عن القوى التي تساعد الانسان على تحقيق ما يريد . سوا كانت قوى خيرة ام قوى شريرة ... وحيرة الانسان تنبع من تردده في اختيار القوى التي تساعده على انجاز ما يهوى ...

وزمنه هو الحدث الكامن بين الارادة والفعل . هذا الحدث هو موضوع القضاء والقدر ، وزمن الانسان ما هو الا حالة ممارسة القدر لقضائة المسبق من قبل وجود الانسان نفسه ..... وزمن الانسان ، ما هو الا مجال التجربة الانسانية ازاء قضاء القدر .

ووجود الانسان نفسه ، هو حالة من حالات التغير الحادثة في الكون . وهو نقطة التماس الرياضية بين الازل والابد ... وبانتهاء وجود الانسان على الارض ينتهي الانفصال بين الازل والابد ، فيكون المستقبل هو الماضي ، والماضي هو المستقبل بلا انفصام بين الارادة والفعل ولا بين الفكر والعمل . ودون ازدواجية أو ثلاثية الحدث الانساني ...

والفكر الديني وبخاصة ما يرتبط منه بالكتب السماوية حدد زمن الانسان بأنه حالة من حالات الزمن الكوني .... حيث تكون الارادة فعلا . وصدق تعالى اذ يقول : .... : « انما أمره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون » *

---

* ـ القرآن الكريم ، سورة يس ، آية (٨٢)

المراجع العربية والاجنبية :

- ابراهيم شعلان ، الشعب المصرى ، من خلال امثاله العامية ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٢ .
- أبو الوفا التفتازانى ، الانسان والكون فى الاسلام ،مجلة عالم الفكر ، المجلد الاول ، العدد الثالث ،وزارة الاعلام الكويت ، اكتوبر - نوفمبر - ديسمبر ١٩٧٠ م .
ص ٩٧ - ١٤٠ .
- احسان يارشاطر ، الاساطير الايرانية القديمة ،ترجمة محمد صادق نشات ، دار الانجلو المصرية ، الطبعة الاولى ، ١٩٦٥ م .
- احمد كمال ، علوم وعوائد وصنائع واحوال قدماءالمصريين ، مطبعة مدرسة الفنون والصنائع الخديوية ، بولاق سنة ١٣٠٩ هـ .
- الاسطورة والرمز ، ترجمة جبرا ابراهيم جبرا ،منشورات وزارة الاعلام . الجمهورية العراقية ، ١٩٧٣ .
- الكزندر هجرتى كراب ، علم الفولكلور ، ترجمةرشدى صالح ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٧ م .
- الف ليلة وليلة - منشورات دار مكتبة الحياة ،بيروت (٤ اجزاء) .
- الف ليلة وليلة - سهير القلماوى ، دار المعارفبمصر ، ١٩٥٩م .
-برستيد ، تطور الفكر الدينى فى مصر القديمة ،ترجمة زكي سويدان ، القاهرة ، ١٩٦١ م .
-توماس بلفينش ، عصر الاساطير ، ترجمة ، رشدىالسيسى ، النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٦ م .
- جان مارى اوزياس ، البنيوية ، ترجمة ميخائيلمخول ، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومى ، دمشق ١٩٧٢ م .
- جيمس فريزر ، الفلوكلور فى العهد القديم ، ترجمةنبيلة ابراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٢ م .
- جيمسفريزر - الفصن الذهبي ، الترجمة العربية ،باشراف ، احمد ابو زيد ، الهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر ١٩٧١ م . ج (١) .
- دنيس بولم ، الحضارات الافريقية ، ترجمة علىشاهين ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٧٤ م .
- صفوت كمال ، مدخل لدراسة الفولكلور الكويتي ،الطبعة الثانية ، وزارة الاعلام - الكويت ١٩٧٤ م.
- صفوت كمال ، مناهج بحث الفولكلور العربى بينالاصالة والمعاصرة ، مجلة عالم الفكر / المجلد السادس - العدد الرابع (ابريل - مايو - يونية ١٩٧٦ م) وزارة الاعلام / الكويت ص ١٧٢ - ٢١٠ .
صفوت كمال ، اساطير الخلق ، مجلة عالم الفكر ،المجلد الثاني ، العدد الاول ، ابريل ١٩٧٢ م .
- صموئيل نوح كريمر (ناشر) ، اساطير العالمالقديم ، ترجمة ، احمد عبد الحميد يوسف ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٤ م .
- صموئيل نوح كريمر،السومريون ، تاريخهموحضارتهم،ترجمة فيصل الوائلى/وكالة المطبوعات - الكويت، ١٩٧٣ م.
- طه باقر ، ملحمة جلجامش ، منشورات وزارة الاعلام،الجمهورية العراقية ، ١٩٧٥ م .
- عبد المحسن صالح « شيخوخة الكون » مجلة عالمالفكر ، المجلد السادس ، العدد الثالث وزارة الاعلام ، الكويت (اكتوبر - نوفمبر - ديسمبر) ١٩٧٥ م . ص(٤٧ - ١٠٨) .
- عبد الواحد وافى ، الادب اليونانى القديم ، ودلالتهعلى عقائد اليونان ونظامهم الاجتماعى ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٠ م .
- فاطمة الفرباوى ، الشيخوخة ، هل هى مرض ،مجلة عالم الفكر ، المجلد السادس العدد الثالث وزارة الاعلام ، الكويت ، (اكتوبر - نوفمبر - ديسمبر) ١٩٧٥ص (١٠٩ - ١٣٢) .
- فرجيل ، الانيادة ، ترجمة عنبرة سلام الخالدى ،دار العلم للملايين ، بيروت ، يناير ١٩٧٥ م
- فون ديرلاين ، الحكاية الخرافية ، ترجمة نبيلةابراهيم ، دار القلم ، بيروت ، ابريل ١٩٧٣ م .
- محمد احمد جاد المولى ، وآخران ، قصص العرب ،عيسى البابى الحلبى وشركاه ، اربعة اجزاء (١٩٧١ - ١٩٧٢) .
- محمد رجب النجار ، البطل فى الملاحم الشعبية ،قضاياه وملاحمه الفنية ، رسالة دكتوراه ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٦ . (لم تنشر بعد) .

ـ محمد غنيمي هلال ، مختارات من الشعر الفارسي،الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٥ م .
ـ محمود الحفني ـ سيرة عنترة ـ الدار القومية ـالقاهرة .
ـ الموسوعة العربية الميسرة ، دار القلم ، القاهرة ،١٩٦٥ م .
ـ هوميروس ، الاوديسة ، ترجمة عنبرة سلام الخالدى ،دار العلم للملايين ، بيروت ، نوفمبر ١٩٧٤ م .
ـ اوديسة هوميروس ، ترجمة امين سلامة ، دارالادباء ، القاهرة ، ١٩٦٦ م .

African Folktales & Sculpture. Introduction James Johnson Sweeney, London 1965, Secker & Warburg.

African Myths and Tales, ed. by : Susan Feldmann. New York 1963, Dell Publ. Co.

Bibby, Geoffrey, Looking for Dilmun, New York 1969, Alfred A. Knopf.

Bulfinch's Mytholog , London 1969, The Hamlyn Publishing Group Co. Ltd.

Chaundler, Christine, A Year Book of the Starts, London 1956, A.R. Mowbray Co.

,, ,, A Year-Book oflegends, London 1962, A.R. Mowbray Co.

,, ,, A Year-Book of Folk-Lore, London, 1959, A.R. Mowbray Co.

Davis, J.G., Mythological Influences on the first Emergence of Greek Scientific. and Philosophical Though, in "Foklore" (Review), Vol. 81, London, Spring 1970, Published by the Folklore Society.

Dorson, Richard, (ed) Peasant Customs and Savage Myths. Vol, I. London 1968, Routledge & Kegan Paul.

,, ,, The British Folklorists ... A History. London 1968. Routledge & Kegan Paul.

Encyclopedia Americana (The), New York 1963, Americana Corporation, Vol. 19–Mythology

Encyclopedia of Religion and Ethics, ed. by: James Hasting. Edinburgh 1954, T. & T. Clark, Vol. IV, — Cosmogony and Cosmology.

Grant, Michael, Roman Myths, Pelican Books 1973.

Ions, Veronica, Egyptian Mythology, London 1958, Paul Hamlyn.

,, ,, Indian Mythology, London 1958, Paul Hamlyn.

Kluckhohn, Clyde, Universal Categories of Culture, in: "Anthropology Today", Chicago 1953, The University Press.

Levi-Strauss, Claude, Social Structure, in : ,,Anthropology Today", Chicago 1953, The University Press.

Malinowski, Bronislaw, A Scientific Theory of Culture and other Essays, Oxford University Press, New York 1960, A Glaxy Book.

Montet, Pierre, Everday Life in Egypt in the days of Ramesses the Great, London 1958, Edward Arnold Publ.

New Larousse Encyclopedia of Mythology, Introduction by Robert Graves, London 1969 Paul Hamlyn.

Rollo. Ahmed. The Black Art, London 1966, Arrow Books.

Standard Dictionary of Folklore, Mythology, and Legend, New York 1972, Funk & Wagnalls Pbulishing Company, Inc.

Thompson, Stith, The Folktale. New York 1946. Holt Rinehart and Winston.

,, The Types of the Folk-Tale. A Classification and Bibliography, F.F.C.No. 184, Helsinki 1964.

Werner, Alice, African Mythology, In : ,,The Mythology of all Races. New York 1964. Cooper Sqare Publishers, Vol. VII.

World Treasury of Proverbs (A), Collected by Henry Davidoff, London 1961, Cassell& Co. Ltd